كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة بالغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: فصل من كتاب البيان والتبيين للجاحظ باب البيان:

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : -A chapter from Al-Jahiz's book, Al-Bayan wa'l

Tabyeen, Bab Al-Bayan

ـ فصل من كتاب البيان والتبيين للجاحظ باب البيان:

قال بعض جهابذة(١) الألفاظ ونقاد المعاني؛ المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة(٢) في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنما يُحيى تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي. التي تقربها من الفهم، وتُجلّيها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً، وهي التي تلخص الملتبس(٣)، وتحل المنعقد(٤)، وتجعل المهمل(٥) مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، والغُفْل موسوماً(٦)، والموسوم معلوماً. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى.

وكلما كانت الدلالة الظاهرة أوضح وافصح، وكانت الإشارة ابين وأنور، كان أنفع وانجع(٧).

---

(١) جهابذة: الجهباذ النقاد الخبير بغوامض الأمور جمع جهابذة وهو معرب أي أجنبي فجعله العرب على الأوزان العربية .

(٢) المتخلجة : مرتبطة .

(٣) الملتبس: المختلط ؛التلخيص: التبين والتفسير وفي حديث على"أنه قعد لتلخيص ما التبس على غيره"

(٤) المنعقد : المتشابك.

(٥) المهمل غير مستعمل.

(٦) موسوماً : معلم.

(٧) أنجع : أكثر فائدة.

والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت اصناف العجم.

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع(١) المعنى، وهتك(٢) الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

ثم اعلم - حفظك الله - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة.

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها **اللفظ** ثم **الإشارة** ، ثم **العقد**(٣) ، ثم **الخط**، ثم **الحال** التي تسمّى نِصبة. والنّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصرُ عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة(٤) من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها واقدارها، ومن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ وعما يكون منها لغواً بهرجاً (٥)، وساقطاً مُطَّرَحاً(٧).

وقالوا : البيان بصر والعيُّ عمىً ، كما أن العلم بصر والجهل عمى والبيان من نتاج العلم، والعيُّ من نتاج الجهل.

---

(١) القناع : هو اللثام والمقصود به هنا اللبس والغموض.

(٢) هتك : أزال" يفضي يفهم.

(٣) العقد : ضرب من الحساب يكون باصابع اليدين، يقال له حساب اليد، وقد ورد في الحديث أنه " عقد عقد تسعين" وقد ألفت فيه كتب وأراجيز.

(٤) بائنة : مختلفة .

(٥) لغواً بهرجاً : لغواً أي كلام لا يعتد به ولا يحصل منه على الفائدة ، والبهرج الباطل .

(٦) مُطَّرَحاً : مبذول.

وقال سهل بن هارون، العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم .

وقال صاحب المنطق : حد الإنسان الحيُّ الناطق المبين.

وقالوا : حياة المروءة الصدق، وحياة الروح العفافُ، وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيان .

وقال يونس بن حبيب، ليس لعييٍّ مروءةٌ ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حك بيافوخه اعْنَانَ السَّماء.

وقالوا : شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنّه قطعة من علمه، واختياره قطعة من عقله.

وقال ابن التَّوام ، الروح عماد البدنِ والعِلْم عماد الروح، والبيان عمـاد العلم.